النشاط الثقافي في الوطن العربي

من مراسلي «الآداب»

لبنان

تشويه كلمة وفد لبنان ...

***

ألقى الدكتور سهيل ادريس ، باسم الوفد اللبناني الى المؤتمر السابع للادباء العرب الذي انعقد الشهر الماضي في بغداد ، كلمة في حفلة الافتتاح تناولها بعض الكتاب الذين حضروا المؤتمر بالنقد والتعليق . وقد تعمد احدهم ، وهو الاستاذ انيس منصور ، تشويه هذه الكلمة ووصفها بأنها « تشتم » الشعب المصري ، ثم انطلق يهاجم ويلعن على نحو يترفع عنه كل ذي قلم شريف .

وقد تبنت بعض الاقلام موقف هذا الكاتب ، من غير تمحيص ولا تحقيق ووقفت اقلام اخرى موقف المتسائل المرتاب .

وبالرغم من انقضاء بضعة اسابيع على المؤتمر ، ومن الرد الذي بعث به الدكتور سهيل ادريس على كلام ذلك الكاتب . فقد رأينا ان ننشر كلمة رئيس الوفد اللبناني بنصها الحرفي ، ليقف القراء والكتاب على التجني والافتئات اللذين حملتهما كلمة ذلك الكاتب المضلل الذي اصبح معروفا بأسلوبه الرخيص في الكتابة .

وهذا هو نص الكلمة :

ايها الاخوة الزملاء

يحرص الوفد اللبناني ، اذ يشكر الحكومة العراقية على دعوتها الكريمة للمشاركة في أعمال المؤتمر ، على التأكيد بان تأخر الدعوة التي لم يتبلغها الا منذ شهر وبضعة ايام فقط لم يمكنه من اعداد أي بحث من ابحاث المؤتمر ، وهو الذي كان في المؤتمر السابق الذي انعقد العام الماضي في القاهرة قد اقترح ان توجه الدعوات قبل ستة أشهر على الاقل من موعد انعقاد اي مؤتمر ليتاح للوفود اعداد ابحاث معمقة جادة ، وقد أقر هذا الاقتراح في حينه ، ولكن لم يعمل به في هذا المؤتمر ، كما ان الموضوع الذي وافقت عليه اللجنة التنظيمية في القاهرة ليكون مدار البحث في مؤتمر بغداد قد عدل من غير مبرر مقنع ، ولم يتح للبنان ، وهو عضو في المكتب الدائم ، ان يدلي برأيه في التعديل لا سيما وان وفده كان هو الذي اقترح ذلك الموضوع .

اننا ايها الاخوة الزملاء نأمل ان نكون في هذا المؤتمر ، وفي مؤتمراتنا القادمة ، اكثر التزاما بمقرراتنا واحتراما لها .

وبعد ، فاننا نجتمع اليوم والامة العربية ما تزال تعاني من كابوس الاحتلال الصهيوني الاستعماري لاجزاء عزيزة من أرضها . ومن الطبيعي ان نتدارس النتاج الادبي الذي يصدر عن الادباء العرب بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، وان نقوم هذا النتاج لنعرف وزنه في معركة المصير الذي يخوضها العرب لتحرير أراضيهم .

ونحن نحب ، في البدء ، ألا ننساق للتفاؤل الذي تعودناه ، فتعودنا معه الخيبة وشعور الخذلان لاننا كنا نتجلوز به الحد الذي يسمح به الواقع الى التمني الذي قد يعد به المستقبل ، ولكننا لا نريد كذلك ان ننزلق الى التشاؤم الذي ليس من شأنه الا ان يحبط الروح المعنوية التي بدت تخفق بها الصدور العربية تجاوبا مع الامل الذي يحمل نسمته المحيية اولئك الذين آمنوا بان الحياة لن توهب ثانية للامة التي نمتهم الا حين يموتون من أجلها : الفدائيون .

ونحن نشوه الواقع اذا لم نقر بان ادبا جديدا قد ولد بعد ٥ حزيران ، هو أدب الفداء العربي ، وان هذا الادب ينبثق كالزهرة الفتية وسط كثير من ادب اللامبالاة والتعفن وبقايا الهموم الصغيرة ، ليشارك ، ولو مشاركة غير وافية ، في بناء الانسان العربي الجديد ، كائنا يطلب النقاء والصفاء ويرفض الزيف والخداع ، ويتمرد على روح التسويات وانصاف الحلول ، انسانا يتعرى امام الشمس المطهرة ليعاني بصدق وامانة ما عاناه جنود أبطال خرجوا الى صحراء سيناء يحملون ملء أذرعهم أمل النصر ، فاذا بهم يكتشفون أنهم ضحايا تضليل كبير دفعوا حياتهم ثمنا له . هذا الانسان العربي ، الذي يرمز اليه الفدائي العربي ، والجندي العربي الجديد ، هو الذي بدأ يصوره جيل جديد من ادباء الشباب يعون مسؤوليتهم التاريخية حين يكتشفون انه كان ثمة كذلك ادب تضليل وخداع ، وأنهم مدعوون الان للقضاء على التسمم الذي يخلفه تخدير الاعصاب والافكار ، بخلق ادب عربي يواجه الصراحة والعراء ، كما يواجه الفدائي الموت .

وفي معرض تقويم هذا الادب ، لا بد من التساؤل عن حظه من النضج الفني . ونحن من المؤمنين بان الادب الذي لا يتوفر له النضج الفني لن يكون ادبا ، ولن يستطيع الاسهام في معركة البناء المطلوبة .

بيد ان النضج الفني لكل ادب يتطلب شروطا لا تتوفر لكثير من نتاجنا الحديث ، أولها ورأسها الحرية ، حرية التعبير عن الرأي ، وحرية النقد ، ذاتيا كان ام موضوعيا . ويجب ان نعترف هنا بأن هذه الحرية ما تزال مضطهدة في كثير من البلدان العربية ، وان عدم توفرها بالقدر الكافي هو الذي يزهد كثيرا من الادباء في الانتاج والابداع ، وليس لنا مفر من أن نعالج هنا ، في هذا المؤتمر ، هذا الامر الخطير . ونحسب انه يندرج في موضوعنا « الاديب العربي ومشكلات العصر » . ان حرية التعبير لدى الاديب العربي هي أولى مشكلات العصر الذي يعيش فيه !

ان ادبنا العربي الحديث يخوض هو أيضا معركته ، والمطلوب هو ان يعي الادباء رسالتهم ودورهم في هذه المعركة التي تهدف الى تثبيت الاصالة الذاتية ، وتقمص موقف الشاهد ، الشاهد على الذات وعلى العصر الذي تعيش فيه الذات ، ولن يتم ذلك الا بتوفر الشرط الواجب: الحرية ، التي لا ادب ولا فكر ولا حضارة بدونها .

ايها الاخوة الزملاء

اننا نشكو اليوم ، ونحن في صدد الحديث عن ادب ما بعد النكسة ، من ان معظم من نسميهم بالادباء الشيوخ ، ومعظم من نسميهم بالادباء الكهول ، ما زالوا متخلفين في الاسهام في المعركة . ولكننا لا نستطيع الا ان نكون متفائلين بما بين ايدينا من ادب المقاومة ، هذا الذي ينتجه جيل جديد من ادباء الشباب الذين سيرسمون منعطفا هاما في تاريخ أدبنا الحديث . ولا بد هنا من توجيه تحية خاصة الى ادباء المقاومة في الارض المحتلة الذين يضربون المثل في الصمود والشجاعة ، ويهزون ضمائر ادباء العرب خارج الارض المحتلة .

ايها الاخوة الزملاء

قلنا اننا لا نحب ان ننساق للتفاؤل الذي تعودناه ، ولكننا نبخس الواقع حقه اذا لم نستبشر بهذه البراعم الكثيرة الواعدة التي تصور تصويرا فنيا متفاوت النضج نضال الشعب العربي على مختلف مستوياته ولا سيما مستواه الفدائي ، لمحو عار الهزيمة واسترداد الارض العربية والكرامة العربية .

فتحية للقلم العربي الشريف الذي هو اليوم رفيق الفدائي ، رفيق سلاحه الحقيقي . تحية للقلم الفدائي ، رفيق البندقية الفدائية .

فلسطين

مؤتمر كتاب فلسطين

***

انعقد المؤتمر الثاني لكتاب فلسطين في القاهرة بين ١٥ و ١٩ ايار الماضي ، وأصدر في نهاية الجلسات توصياته التي كان منها قرار برفض قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ والمحادثات الرباعية .

وطالب المؤتمر بتوحيد المنظمات والقوى الفلسطينية وانشاء قيادة سياسية واحدة وقيادة عسكرية واحدة .

كما طالب بتوحيد اجهزة الاعلام وتطويرها وتطوير الاجهزة التابعة لمنظمة التحرير لتتحمل مسؤوليات المرحلة الجديدة .

ودعا المؤتمر الجماهير العربية لتحمل مسؤولياتها في حماية الكفاح الفلسطيني المسلح والوقوف معه ضد كافة مشروعات التصفية واطلاق الحرية للعمل الفلسطيني على جميع المستويات وشجب المؤتمر الازمة المفتعلة التي خلقتها الدوائر الاستعمارية والرجعية لضرب العمل الفدائي في لبنان .

وطالب المؤتمر الحكومة السويسرية بالافراج فورا عن الفدائيين الفلسطينيين المحتجزين في سويسرا باعتبار انهم يمارسون حقا مشروعا ضد عدو اغتصب وطنهم .

وشجب المؤتمر المؤامرات الاستعمارية ضد عروبة الخليج واستنكر الازمة التي افتعلتها ايران حول شط العرب بتخطيط مع الاستعمار والصهيونية العالمية بقصد صرف العراق عن المعركة .

وطالب المؤتمر الحكومات العربية بضمان حرية التنقل وحرية الفكر للفلسطينيين في جميع الاقطار العربية .

وقد اصدر المؤتمر نداءا الى الكتاب والادباء الاحرار في العالم يناشدهم ان يقفوا الى جانب نضال الشعب العربي الفلسطيني من اجل تحرير وطنه من الاستعمار والصهيونية .

وجا في النداء ان النضال العربي ضد الاستعمار والصهيونية يعتبر جزءا من النضال العالمي ضد الاستعمار . وان الثورة الفلسطينية مرتبطة ارتباطا عضويا بحركة التحرير العالمي .

واكد النداء ان النضال العربي ضد الصهيونية العالمية لم يكن موجها في يوم من الايام ضد اليهود كيهود وانما كان موجها ضد حركة فاشية عدوانية وضعت نفسها منذ نشأتها في خدمة الاستعمار .

وقد انتخب المؤتمر في جلسته الختامية السيد خيري حماد امينا عاما للاتحاد لمدة سنتين وهذه هي المرة الثانية التي يتم فيها انتخاب السيد خيري حماد امينا عاما للاتحاد .

كما انتخب المؤتمر اربعة اعضاء جدد للامانة العامة هم عودةبطرس عودة ومحمود عبد الله يعقوب والدكتورة نادرة السراج ومحمد زهدي النشاشيبي .

كما قرر المؤتمر قبول عضوية ١٨ اديبا وكاتبا فلسطينيا في الاتحاد واعتبار جميع الكتاب والادباء العرب في الارض المحتلة اعضاء في الاتحاد .

ج . ع . م .

رسالة من سامي خشبة

انتصارات شابة ، حقيقية وغير كاملة

***

الاجيال الشابة ، والفن الشاب ، والفكر الشاب ، تسجل انتصارات جديدة لها في الحياة الثقافية للجمهورية العربية . وليست هذه الانتصارات مجرد عملية « حقن » للدماء الشابة في شرايين قديمة ، وانما هي سلخ أنسجة قديمة ، وزرع أنسجة وأعضاء جديدة تماما ، تتيح للحياة العقلية ان تتجدد وتنمو وتكتشف « اصقاع عالم يصل اليها مسافر » لانها أصقاع توجد لاول مرة .

في الشعر ، صدر أول ديوان للشاعر الشاب أمل دنقل . وفي القصة صدرت المجموعة القصصية الاولى لقصاص شاب هو جمال الغيطاني ، وأصدرت « مجلة ٦٨ » عددا خاصا عن « القصة المصرية المعاصرة » .. وفي المسرح صدرت الترجمة الاولى لاحدى مسرحيات الكاتب اللبناني المولد ، الفرنسي الثقافة والاقامة جورج شحادة ، وقام بالترجمة أديب شاب هو فتحي العشري ، الذي كتب مقدمة الترجمة أيضا ، وعرضت لاول مرة ، المسرحية الطويلة الاولى للكاتب البولندي الشاب ميروجيك ، قامت بعرضها فرقة مسرح الجيب (التي يبدو منذ العام الماضي انها تكتفي بمسرحية واحدة ، مترجمة ، كل موسم) ، وفي الرواية صدرت الرواية الاولى للقصاص الشاب عبد الحكيم قاسم ، الذي عرفه القراء للمرة الاولى على صفحات الاداب .

ومن البديهي أننا لا ننظر الى هذه الاعمال باعتبارها أعمالا عادية ، والا لما عددناها من قبيل « الانتصارات » الا اننا في الحقيقة لا ننظر اليها باعتبارها أنتصارات خالصة ، اذ يعلق بها كل ما يعلق بثمار الجهد الجديد أو الشاب ، عن فجاجة احيانا ، أو تسرع أحيانا ، أو قصور أو أحادية نظر في بعض الاحيان . انها أعمال تكتشف أبعادا جديدة في تراثنا الثقافي والروحي ، أو تحاول ان تساهم في تحديد التيارات الجديدة ، الفنية والفكرية في حياتنا الادبية ، أو تحاول أن تنقل الينا تيارات جديدة وناضجة في نفس الوقت في الحياة الادبية والفنية والفكرية لشعوب أخرى ، أو تسلط ضوءا جديدا ونافذا على ركن غامض وان كان صاخبا يموج بحياة هائلة ، في تكويننا الروحي المعقد والمظلم الاعماق . وهي لكل هذه الاسباب أعمال غير عادية ، وهي خطوات حقيقية في سبيل اضافة ابعاد جديدة لآفاق رؤيتنا الى أنفسنا والى غيرنا ، وفي سبيل اضافة قيم أصيلة وثمينة لوجداناتنا وعقولنا وثروانتا الفنية ، ولكنها تتم أحيانا في تعجل وقبل التمثل الكافي للتراث الذي تتجه اليه وتمنح منه ، أو قبل نضج التيارات الجديدة التي تحاول المساهمة في تحديدها ، نضجا فكريا وفنيا ، أو دون بحث كثير في تيارات الفن والفكر عند الشعوب الاخرى لكي تنقل الينا أهم ما هو جدير بالنقل ، أو دون استكمال الاستعداد الثقافي وتعميق الفهم الشامل للتجربة الواقعية في بحر تكويننا الروحي حتى نحصل في النهاية على صور حقيقية تستحضر الجوهر الاصيل لهذا التكوين وتشبعنا عقليا ووجدانيا باكتشافها ـ الذي لا شك في حدوثه ـ لذلك الفور السحيق من أغوار روحنا .

ولنحاول الان أن نفصل ما أوجزناه ، وان كنا نعرف أن تفصيلنا سيظل ناقصا ، لاننا سنقتصر على نموذجين فقط من هذه الاعمال .

● البكاء بين يدي زرقاء اليمامة . (١)

هذا هو الديوان الاول للشاعر الشاب أمل دنقل . ورغم أن أمل يكتب الشعر ـ أو عرف بقول الشعر ـ منذ أكثر من عشر سنوات ، الا أنه لا يضم في ديوانه الا قصائد من السنوات الثلاث أو الاربع الاخيرة ، وهي السنوات التي شرع أمل فيها يكتشف عالمه الشعري الخاص ، بعد أن نضجت تجربته الفكرية والوجدانية والفنية الى الحد الذي يسمح له بأن يكون له « عالما شعريا خاصا » ، وهي نفس السنوات التي تمكن أمل في أثنائها من السيطرة الى حد كبير على أداته الفنية ، فيستفيد من تجارب البناء الشعري الجديد ـ وليس مجرد تجارب التجديد الموسيقي أو الشكلي ـ عند صلاح عبد الصبور وأدونيس وخليل حاوي ، لكي يعرف أهمية اثراء هذا البناء بتعدد الاصوات وتداخل النغمات المختلفة دون أن يفقد سيطرته على البناء ككل ، ودون أن يفقد مبرر وجود الاصوات المتعددة أو النغمات المتداخلة .

قبل هذه السنوات كان أمل يعيش في عالم تقليدي عتيق من

١ ـ صدر عن دار الاداب في يناير (كانون الثاني) ١٩٦٩ .

الالفاظ والصور والتراكيب المستمدة من قصائد الشعر العربي التقليدي ـ وأقول من « القصائد » وليس من « الشعر » ، لان أمل في هذه الفترة لم يكن قد اقترب بعد من عتبة عالم الشعر الخيالي الذهبية . ولذلك فان أهم ما يميز شعر أمل في سنواته الاخيرة هو قدرته المزدوجة على دخول التجربة النفسية والفكرية لانسان معاصر من نوع ما ـ بدلا من ذلك الانسان التقليدي العتيق القديم،ثم على اكتشافه الخاص لماهية الشعر الذي تمتزج فيه حاسيته الشخصية ازاء اللغة ـ مفرداتها وتراكيبها ـ وازاء الموسيقى ، وازاء تجربته الفكرية والحياتية في مرحلة تاريخية معينة وفي مدينة بعينها ، وازاء الموروث الثقافي للغته ولامته ، هذا الموروث الذي لا شك أنه في امتزاجه ـ في شعر أمل ـ بتجربته « العصرية » الجديدة ، فانه يمنح شعره مزيدا من التحدد لنكهته الخاصة أو شخصيته المستقلة . وكل هذه العناصر هي ما نكون ما دعوناه في البداية بالعالم الشعري الخاص لامل دنقل .

تتوزع قصائد الديوان ، أو أكثرها ، تجربتان أساسيتان : تجربة الحب العاجز عن التحقق أو الاستمرار بسبب اصطدامه بالقيم المادية المبتذلة في عالمنا ، أو باستحالة خروج أحد طرفيه من انيته وفوقعته المنعزلة . ثم تجربة الشعور المروع بالمرارة والخيبة والحزن ازاء أزمة المجتمع ـ الازمة التي تقع خارج ذات الشاعر ولكنه يحولها في شفافية وصدق حساس الى أزمته هو الشخصية ـ قبل نكسة ١٩٦٧ أو بعدها . قصائد التجربة الاولى لا نرى اختلافا كبيرا في « الرؤية » بين أمل وبين شعراء آخرين كثيرين تناولوا نفس التجربة . ان ما يميز أمل هنا هو « لغته » الشعرية ، مفرداته وايقاعاته وتراكيبه وموسيقاه الخارجية ، الامر الذي يؤكد أن احساس الشاعر ازاء أداته الفنية واستخدامه لها ، هو احساس وهو استخدام متميزان ، ويمهدان له الطريق الحقيقي الى خلق عالم شعري خاص به . ولعل قصائد التجربة الثانية هي ما تؤكد شروع أمل في بناء هذا العالم أو اكتشافه . ان الاحساس بالمرارة أو الخيبة أو الحزن ، بل الشماتة أحيانا ـ وهذا احساس يؤكد « فردية » الشاعر ولكنها فردية على استعداد للمشاركة، وليست فردية أنانية ملتهمة لوجود الاخرين . ان مثل هذه الاحاسيس تتحول الى « تصورات » حسية لوقائع محددة ، أو لمواقف بعينها من الواقع الخارجي ، رغم غنائية القصائد كلها ، من خلال زاويتين متعلقتين بالاداة الفنية نفسها . الاولى هي زاوية البناء المعقد لقصيدة أمل ، تتعدد فيه الاصوات والنغمات والايقاعات العروضية . وأعتقد أن أمل يستطيع بمزيد من محاولة السيطرة على بناء قصائده وتوحيد اتجاهها رغم تعدد مساراتها النفسية ، يستطيع ان يحقق اضافة جديدة وجادة لنمو القصيدة العربية . أما الزاوية الثانية ، فهي استخدامه لجزئيات من التراث في صورة أسماء ، أو استعارات من مشهور الشعر أو الامثال .. الخ . وأمل يلجأ الى هذه الاداة الاضافية للاهداف المعروفة : توسيع المجال الوجداني والفكري للقصيدة مع المحافظة على حدودها الفنائية ، بشحنها بمفردات « مقتبساته » أو استعاراته ذات الدلالات الثرية والخصبة التي حملت بها في عصور الكثافة الفكرية ، وزادت حمولتها منها عبر التاريخ ، ولكن استخدام أمل لمعظم هذه الاستعارات يعوزه غالبا « المبرر » الفني النابع من القصيدة نفسها ، من تجربتها ومن بنائها ومن جزئياتها المختلفة المتوزعة بين أجزائها . اننا لا نستوعب ـ مثلا ـ كل الاسباب أو المبررات الفنية التي دفعته الى استخدام رمز زرقاء اليمامة أو أبي موسى الاشعري ، ولا ندرك من هذه الاسباب الا السبب الذي نستخلصه من قصة الزرقاء التي تحكيها الكتب القديمة ، أو الذي نستخلصه من كتب التاريخ بالنسبة للاشعري.نعتقد أن « الاستعارة » في الشعر لا بد وأن تكتسب معنى جديدا من خلال الشعر نفسه ، يضيف الى الجزئية التي تمت استعارتها معنى جديدا من خلال التجربة التي يعبر عنها الشاعر الحديث . ويمكننا أن نقارن معنى الزرقاء أو الاشعري مثلا بمعنى مدينة « السويس » في القصيدة المسماة بهذا الاسم . ان المدينة لا تصبح ـ بعد قراءتنا للقصيدة ، هي نفسها المدينة التي نعرفها ، حتى بالنسبة لمن زارها مرارا وأقام فيها أحيانا ، انها تكتسب معنى جديدا من خلال القصيدة ، وتصبح شيئا تم للشاعر اكتشافه كأنما نسمع نحن عنه لاول مرة . ما زال على أمل اذن أن يعمق اكتشافه لاستخدامه للتراث أو لاستعاراته منه ، فربما كان هذا هو اكتشافه « المعنوي » الاكبر في ديوانه الاول . وربما لهذا السبب ظل اكتشافه في حدود المعالجة الاولية لم يكتمل له النضج .

● أوراق شاب عاش منذ ألف عام . (١)

هذه هي المجموعة القصصية الاولى للكاتب الشاب جمال الغيطاني. والحق ان تكون وظهور كاتب قصصي ممتاز وأصيل الى هذا الحد ، ظاهرة تدعو الى الفرح الحقيقي . ان غزارة انتاج القصة ، بين الكتاب الشباب خصوصا ، وأكاد أقول غزارة ما ينشر منها ، هذه الغزارة وحدها تدعو الى التفاؤل حينما يبرز من وسط ركامها المليء بالعادي والمتوسط والرديء والمتكرر ، شيء أصيل ومجيد ومتميز . ان كسر جدار العادية في فن تستهلكه الصحافة كل اسبوع عدة مرات ، وتستهلكه الاذاعة عدة مرات أخرى ، علاوة على استهلاك المجموعات العادية والرديئة الكثيرة ، ان كسر هذا الجدار ، والشروع في بداية مبكرة ، في تكوين انطلاقة أصيلة وخاصة ، لها صوتها وطريقة أدائها وزاوية رؤيتها وجسارة معالجتها ، لامر يدعو الى الثقة حقا فن هذا الفن المستهلك ... وأعني به القصة القصيرة .

وفي مجموعة جمال الغيطاني نفسها مجال للمقارنة ، بين العادي ، والمتميز الاصيل . فقصة « أيام الرعب » في المجموعة قصة عادية ، بتجربتها وبطريقة معالجة هذه التجربة ، رغم مهارة الكاتب الشاب في تكوين عناصر « الرعب » الذي يحاصر بطله المسكين المهدد بالقتل انتقاما لثأر أبله قديم ، ورغم محاولته الموفقة في اضفاء نوع من البعد الميتافيزيقي لمصدر هذا الرعب ، بطريقة تذكرنا بطريقة نجيب محفوظ في قصص مجموعتيه الاخيرتين « خمارة القط الاسود » ، « تحت المظلة». وعادية هذه القصة تنبع من عادية تجربتها ومن عادية معالجتها. فرغم ما ذكرناه عن المهارة والتوفيق ، الا انهما يظلان مهارة وتوفيقا في مجال العادية . فالكاتب هنا لا يزيد عن اتقان لوسائل وأدوات وأساليب سبق استخدامها مرات كثيرة بدرجات متفاوتة من المهارة أو التوفيق .

اما القصص الاربع الاخرى ، فهي ما تمنح لجمال الغيطاني قامة الفنان الاصيل ، الذي لا يكتفي باكتشاف آفاق جديدة لتجربته النفسية أو موقفه الفكري ، وانما يحاول أن يرتاد أرض شكل جديد . ان السخط على تنسخ الواقع وانحلاله ، أو الشعور بالمرارة أمام العجز الفردي والخيبة الجماعية ، أو التمرد ضد مفاهيم وقيم لا انسانية ومحاولة الوصول الى السلوك الصحيح المؤدي الى خلق واقع أفضل له قيمة الانسانية الجديدة .. كل هذه الصور من التجارب الفكرية أو النفسية تقع في متناول أكثر الكتاب عادية وأقلهم تميزا . ان ما يميز الكاتب هو نوعية « موقفه » من هذه التجربة أو تلك ، وقدرته على نقل هذا الموقف المعبر حقا عن وعيه بالتجربة وادراكه لكل أبعادها ، من خلال أداته الفنية وحدها ، وهذا ما ينقله مباشرة الى مواجهة قضية الشكل . وجمال الغيطاني لا يكتفي بنقل التجربة ـ تجربة السخط أو المرارة أو التمرد أو الدهشة الاسيانة المصممة على الفهم ـ وانما هو ينجح في « تحقيق » موقفه بأداته الفنية من هذه التجربة . انه لا ينقل موقفه وانما يحققه ، يضعنا في موضع لا نجد مفرا من أن نواجه «موقفه» اثناء مواجهتنا للتجربة ، لانه يدرك ان موقفه الخاص لا بد وأن يكون جزءا من تجربته . فحينما نقرأ قصته فاننا لا نعيش التجربة وحدها ، وانما نعيش موقف الكاتب من هذه التجربة أيضا ، وبذلك توجد التجربة من جديد في كل مرة نقرأ فيها القصة ، لاننا مطالبون في كل مرة بأن نتخذ موقفنا منها وأن نحقق نحن أيضا . اننا ـ والمؤلف معنا ـ لا نعي

---

١ ـ صدر تحت شعار « كتاب الطليعة » في القاهرة بدون تاريخ ـ وان كان قد صدر في حدود فبراير (شباط) ١٩٦٩ .

الواقع ـ أو التجربة ـ باعتباره شيئا سلبيا منعزلا عنا . ليس للواقع معنى الا ما نكتشفه نحن فيه . ولذلك فان موقفنا وموقف الكاتب جزء من « حقيقة » هذا الواقع التي نعيها . وجمال الفيطاني يلجأ الى شكل فني جديد ـ وان لم يكن هو مكتشفه ـ يحق له أن ينقل الينا تجاربه ممتزجة بموقفه ، كما هي في الحقيقة .

والمذكرات هو هذا الشكل الفني الذي يلجأ اليه المؤلف الشاب . ولكنها ليست مذكرات عادية . انه حريص على أن يقيم بعدا زمنيا واسعا بين « عصر » كتابه المذكرات ، أو زمنها الفني ، وبين عصرنا . في القصة الاولى « أوراق شاب عاش منذ ألف عام » تكتب المذكرات في زماننا الراهن ، بل وفي أيامنا هذه الراهنة ، ولكن الفيطاني يلجأ بسذاجة الى تقرير في بداية القصة يقول فيه ان هذه الاوراق عثر عليها في حفريات مدينة قديمة ، أيام كان هناك صراع بين أجدادنا وبين دويلة صغيرة اسمها اسرائيل ، منذ ألف عام . البعد الزمني هنا بعد زمني حقيقي ، ولذلك فانه يعد ساذج ولا قيمة له في القصة ولا يؤثر فينا أو يترك أثر على القصة نفسها أما « جسم » القصة الذي كتب في صورة المذكرات المعاصرة للاحداث المروية ، والتي كتبها شخص معاصر ، فيحصل على تميز بنائي عظيم . ان المؤلف يقطع مذكرات « كاتبها » لكي يلقي في وسطها بفقرات تسجيلية من الاخبار السياسية ، أو آية قرآنية ، أو مقطوعة من الشعر ، أو حدث من التاريخ القديم ، أو جزء من أسطورة قديمة . وهو بهذا الاسلوب يشحن قصته بطاقة فكرية ووجدانية قادرة على تجسيد أبعاد الواقع ، مضغوطة أو مكثفة في صياغة وأداء شعريين أخاذين . ان موقف كاتب المذكرات من واقعه ـ واقع الحرب والخوف والصمود ومجابهة التحلل والميوعة والاصرار على الاستمرار رغم الهزيمة ، هذا الموقف يمتزج امتزاجا كاملا بمعاناة كاتب المذكرات لتجربة معايشة هذا الواقع نفسه . ولهذا فاننا لا نحصل على صورة للواقع ـ صادقة وحقيقية ومتعددة الجنبات المادية والوجدانية فحسب ، وانما نحن نحصل على انفعال كاتب المذكرات بالواقع ، وعلاقته الوجدانية والعقلية به ، وطريقته في التعامل معه .. نحصل على موقفه كاملا ، الامر الذي يدعونا نحن أيضا الى أن يكون لنا موقف خاص بنا .

ويزداد نضج فكرة البعد الزمني بين عصر المذكرات وبيننا ، حين يلجأ الفيطاني في قصته « المقتبس من عودة ابن اياس » الى ان يجعل صاحب المذكرات ، أو الرواية شخصا قادما من الماضي ، هو المؤرخ أحمد ابن اياس نفسه الذي ينقل الينا تجربته مع مدينتنا العصرية ـ من الشارع وحده في أيام حرب حزيران . هاهنا يكتشف المؤلف ان البعد الزمني من الممكن خلقه نفسيا ، دون ضرورة الى ان يكون بعدا زمنيا حقيقيا مكونا من ألف عام كاملة ، يكفي ان يشعر الانسان بالغربة في مدينته ، ويكفي أن يعجز عن التفاهم مع أهلها أو علاقاتها ـ رغم انه يفهمها تماما ويدرك كل أبعادها ، ويكفي أن يكون قادرا على ان يندهش وأن يتساءل وان يحاول أحيانا أن يغير ما أدهشه أو دفعه الى التساؤل، يكفي كل ذلك أو شيء منه لكي يكون هناك جدار هائل ، أزمنة كاملة تفصل بين هذا المغترب أو العاجز عن التفاهم أو المندهش وبين العصر أو المدينة التي تدفعه الى الغربة أو العجز أو الدهشة .

وفي القصتين التاليتين يلج الفيطاني عالم الماضي تماما ، ويستمد تجربته من هذا الماضي ، ليس من الضروري أن يستمدهما من الاحداث التاريخية الحقيقية ، ولكنه قادر على أن يخلق تاريخا ، صورة تاريخية حقيقية معبأة بالصدق . في القصة الاولى « هداية أهل الورى لبعض مما جرى في المقشرة » تنجح « قضية » القصة ، قضية الحرية في أبسط صورها ، أو قضية القهر في أبشع صوره : حرمان الانسان من حريته بالسجن ، وتحول المسجون والسجان معا الى كائنات لا انسانية مفزعة . هذه القضية هي ما تمنح القصة قدرتها على الامتداد الى زماننا ، أو هي ما تمنحها القدرة على التحرر من قيد الزمان نفسه . وفي القصة الاخرى « كشف اللثام عن ابن سلامة » ينجح المؤلف في « كشف اللثام » عن الاسلوب الذي يصوغ به شعبنا تصوره عن بطل من أبطال المقاومة . ان « الاقوال » العديدة التي قيلت عن ابن سلام وعن طبيعة أعماله ضد جيش ابن عثمان ، تجعل « حقيقة » تفاصيل ما عمله ابن سلام شيئا ثانويا ، ان « جوهر » ما عمله هذا الشيخ المجذوب هو ما يهمنا ، فهو لم يلق سلاحه حتى اللحظة الاخيرة ، وهو قد واجه موته بشجاعة نادرة . أما الاقوال العديدة .. قيل انه فعل كذا وكذا .. وقيل .. وقيل .. فتخرج ابن سلام من حدود الشخصية الانسانية المحدودة لكي تجعله راية تتناقلها الايدي وترفعها كرمز للمقاومة التي اشتعلت في المدينة كلها ، وحينما يرفع الجلاد في النهاية « الطبر » أو الهراوة الهائلة التي سيسحق بها رأس ابن سلام ، وحينما يصيح فجاة: اقرأوا الفاتحة ، ثم يجلس القرفصاء ، ويهوي الطبر الثقيل على الرأس الانسانية الشجاعة ، نشعر نحن بأنه من الممكن حقا أن تكون المئذنتان فوق باب زويلة قد مادتا حزنا وقهرا ، وان جدران البوابة قد رمت دما ، وان القاهرة قد ارتجت . ان اللجوء الى الماضي في هذه القصة، والمشاركة في عملية صنع البطل الاسطورة ـ هذه المشاركة التي جذبت بالفعل مؤرخين كبارا كابن اياس والجبرتي مثلما جذبت عوام الشعب في مدنه وقراه . انما كانت بدافع من البحث عن شيء خالد وقوي ونبيل وسط ركام الموت والضعف والمهانة . كانت بحثا عن رمز للصمود في وجه العدو المنتصر ، ثم الصمود في وجه الموت نفسه .

ولكن هذه القصص الاربع ، انما تتميز بشيء جديد تماما ، هو لغتها . فقد استطاع جمال الفيطاني أن ينسج قصصه في لغة الكتاب المصريين في العصور الوسطى (من القرن الثالث عشر حتى الثامن عشر) ، وعلى أساس نفس مقولة اللجوء الى اللغة الواقعية لاستحضار الجو الواقعي كاملا ، لجأ الفيطاني الى هذه اللغة في قصصه « التاريخية » لكي يستحضر جو التاريخ كاملا . وقد نجح بالفعل في استحضار هذا الجو ليس من خلال استخدامه لمفردات هذه اللغة ولا تراكيبها فقط ، وانما من خلال أستعادة وايقاظ دلالاتها النفسية التي تلمس وجداننا بالاستغراب من السذاجة مع الاحترام لمحاولة العقل المحدود لاستيعاب عالمه المعقد ونحن نقرأ « بدائع الزهور » لابن اياس مثلا ، هذه الدلالات النفسية لكلمات اللغة وتراكيبها الممتزجة امتزاجا رقيقا بحركة الشخصيات النفسية أيضا . بل ان الفيطاني استطاع أن يوقظ دلالات هذه اللغة الحضارية حينما نجح في أن ينسج العلاقات بين الناس وبينهم وبين الاشياء أو المواقف من خلال نفس التراكيب والمفردات اللغوية القديمة .

هذان نموذجان من الاعمال غير العادية التي صدرت للكتاب الشبان اخيرا والتي حققت لهم انتصارات حقيقية ، وان لم تكن انتصارات كاملة . انهم يكسرون جدار العادية ، ويخطون انتصارات القدامى التي أصبحت أشياء مألوفة ، ويكتشفون « أصقاعا لم يصل اليها مسافر » كما يقول هاملت ، ، لانها أصقاع توجد لاول مرة .

القاهرة

سامي خشبة

المكتبة الوطنية وفروعها

البحرين ـ الخليج العربي

وكلاء توزيع كتب ومجلات وادوات مدرسية
اطلبوا منها

مجلة « الآداب » ومنشورات « دار الآداب »